

العدد ٦٣ • جمادى الثانية ١٣٨٠ • السنة السادسة • الثمن نصف ريال

سكة حديد الحجاز

أخذ القطار يدرج على قضبان السكةالتى تمدها للمدينةالمنورة وكان يشق طريقه بين صفين من الاجساد البشرية المتلاصقة وفى غمرة الفرحة بوصوله نسى الناس كل المتاعب التى عانوها فى سبيل تحقيق قدومه العزيز وترحموا على تلك الارواح الغالية التى ذهبت ضحية تحقيق الفكرة ٠٠ وكانت الهتافات المتداخلة مع صليل (عجلات) القطار الزاحفة فوق القضبان تكون ضجيجا بشبه موسيقى صاخبة حتى ليكاد يحسب السامع أن زفرات القطار الرتيبة انما هى قرع الراقصين للأرض باقدامهم فى حركات عنيفة ارتجفت الساحة من وقعها ٠

وأخيرا رمى القطارعصى السيروالترحال عند تلك الساحةالمعدة للمستقبلين من علية القوم ، ثم مالبث أن انفتح باب احدى عرباته حيث غادرها ثلاثة من البشوات وهم كاظم وسعيدوعبد الله وهبط من القطار فى أثرهم جمع كبير من الشخصيات القادمة خصيصا لحضور حفلة الافتتاح وبين حفاوة المستقبلين وتحيات الواردين انطلقت كلمات يحيىدفتر دار كبير خطباء المسجد النبوى قوية رصينة وكأن مقاطعها رموز سحرية الجمت ذاك الهدير المجلجل فاذا بالجموع مطرقة منصتة تخال على رؤوسهم الطير يستوعبون معانى كلامه وهو يحمد الله ويشكره على منه واتمام نعمته بتحقيق القسط الاول من هذا الامر الذى يهم كل مسلم داعيا المولى جل وعلا أن يهيىء للمسلمين ما فيه الخير والصلاح لها ، والناس يؤمنون وبعد اختتام كلامه طلب كاظم باشا من محافظ المدينة عثمان باشا ارجاء حفل الافتتاح لصباح اليوم الثانى وبينما كان يفهم المحافظ الأسباب وهى أن بعض الوفود قادمة فى قطار الغد كما أن (بدلة) التشريفات الخاصة محمولة فيه٠

بينما كان ذلك سمعت صيحة رجل تدوى ٠٠ الله أكبر :

الله أكبر نور الشرق قد ظهرا   فأبصر الغرب هذا النور فانبهرا
نور النبوة فى نور الشريعة فى   نور الخلافة فى نور الهدى انتشرا
أغنى الخليفة عن جشى يعبئـه   وعن براكين ولكن تقذف شررا
لبيك ٠٠ لبيك يامجد العروبة قد   لباك غائبـة قبل الذى حضرا

ومضى فى القاء قصيدة خلبت الألباب فشخصت الابصار نحو المنشد تدقق النظر لمعرفة شخصه حتى جذبها اليه رجل آخر اتخذ من القطار منبرا وجار٠٠ (حريت عدالت مساوات أخوت) ثم أخرج من جيبه جرنانا قرأ منه كلاما عن اعلان ذلك الامر ومزاياه ٠ ورغم أن الناس لديهم فكرة عما ذكر ورغم أنه كان مكتوبا على أقواس النصر بالاضافة الى أنهم يوم خرجوا الى (مخيط) القريب من المدينة للاحتفال بوصول القطار اليه ٠

وفى ذلك اليوم عرفوا كل شىء عن اعلان الحرية ٠ عرفوه من الجند الذين قابلوهم بالتهانى وأخذوا يثبتون على صدورهم الأشرطة التى تحمل شعار الحرية ٠٠ وفى ذلك اليوم عرفوا أيضا كيف كان يسير العمل بهمة لا يحطمها عائق الامر الذى دفع كل فرد ــ على اختلاف الطبقات أن يأخذ قفة يعبئها بالتراب وينصرف لمساعدة (الترابية) ٠أولئك (الترابية) الذين يسوون الارض فيردمون وهدها ويشقون نهدها ماضين فى مهمتهم وآخرون من ورائهم يمدون القضبان الحديدية على القواعد العريضة المصفوفة كأسنان المشط ثم تشد اليها القضبان بالمسامير اللولبية المحكمة الربط والقطار يطوى كل ذلك ببطء متابعا العمال وكأنه يستحثهم على انجاز العمل

معذرة يا عزيزى القارىء

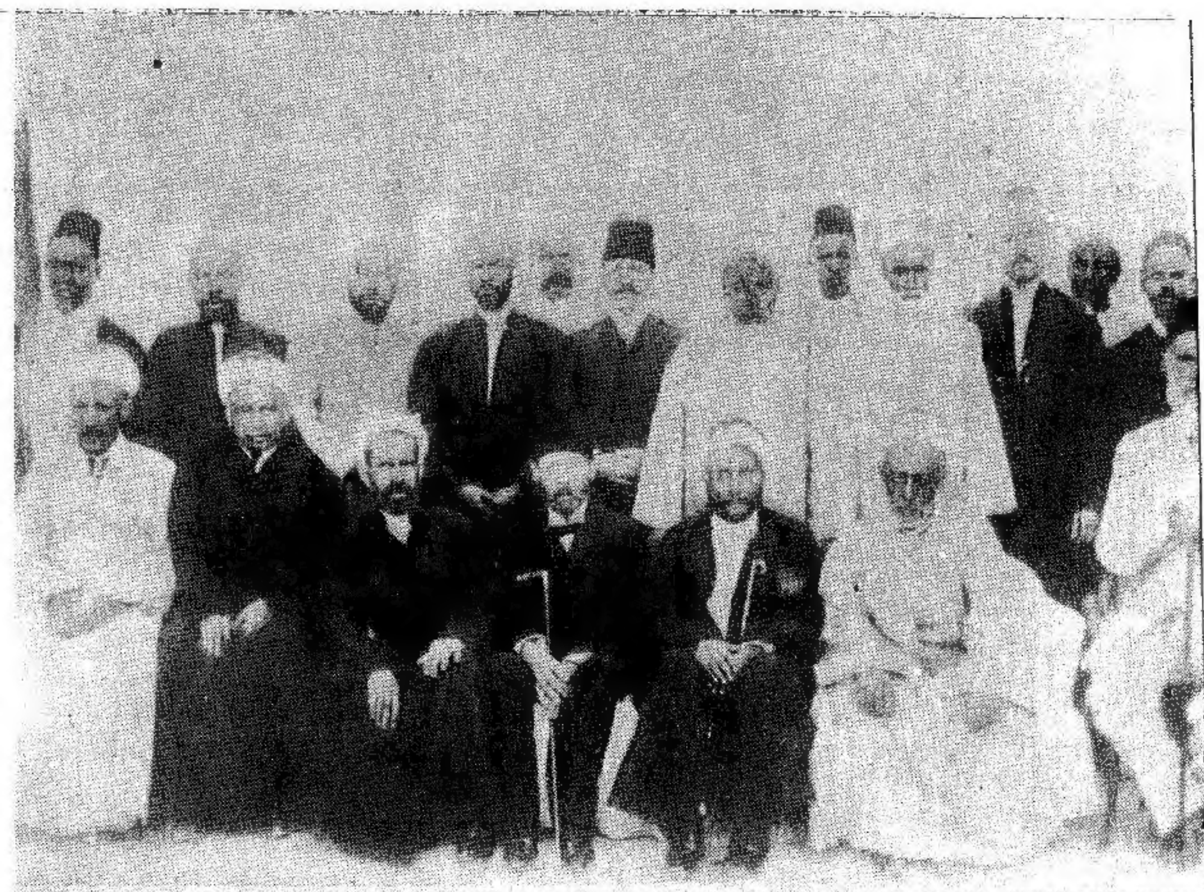
انصرفت لأصور لك سير العمل وتركتك حيث اعتلا رجل القطار ليتخذ منه منبرا ألقى من فوقه ذلك الكلام الذى عرفته وأريد أن أقول ٠٠ لك انه بالرغم من علم الناس بذلك الامر ٠ رغم هذا ظهرت علامات الغضب على وجه محافظ المدينة ونهر ذلك الوافد جديدا للمدينة بقوله (ص) فأجابه القادم بمثل لهجته : (سان صص) أى (أنت أسكت) فما كان من المحافظ الا أن طاطا



رأسه وانصرف « لقيتونه » حيث استقله وغادر المحطة ٠

وفى تلك اللحظة عند غروب شمس يوم ٢٥ رجب سنة ٢٦ صاحبت الشمس عند غروبها انبل ميزة كان المدنيون يتحلون بها ٠

تلك المزية التى كانت تجعل كل امرىء يعرف حده ويقف عنده وانطوت ليلة السادس والعشرين



الوفد الحجازى الذى ذهب الى معان للاحتفال بوصـــول الخط الحديدى الى هناك سنة ١٣٢٢

من رجب طاوية معها ذلك الماضى فأصبح الناس غير الناس وانطلقوا الى مكان الحفل للاستماع لخطب الخطباء وقصائد الشعراء ومشاهدة كظم باشا فى (بدلة) التشريفات الخاصة .

واكتظ المكان بالمشاهدين حيث وجدوا هناك عددا من الخطباء والشعراء منهم المدنيين والزائرين

استمعوا لخطبة السيد احمد صقر وقصيدة عمر كردى ثم قصـــــيدة الطيب العقبى التى استهلها منشدا :

حيى المدينة ما دامت تحيينـــــا وانهض بشعب قضى فى نومه حينا

ثم تكلم من الزوار يوسف باشا صاحب جريدة المؤيد وتلاه على فهمى كامل فألقى كلمة أخيـــــه مصطفى كامل الذى اخترمتـــــه المنية قبل ان يكتحل بصره بمرأى القطار فى المدينة المنـــورة فرثاه شوقى بقصيدته المشهورة :

المشرقان عليـــــك ينتحبـان قاصيهمـــا فى مأتم والدانى
يا خادم الاسلام أجـــر مجاهد فى الله من خلد ومن رضــوان
لما نعيت الى الحجاز مشى الأسى فى الزائرين وروع الحـــرمان
السكة الكبرى حيال رباهمــــا منكوسة الاعـــلام والقضبان
لم تألها عنـــد الشدائد خدمة فى الله والمختـــار والسلطان
يابيت مـــكة والمدينـــة فازتا فى المحفلين بصـــوتك الرنان
ليرى الاواخر يوم ذاك ويعلموا ما فات عن قس وعن سحبان

واذا كان الناس قد استمعوا الخطب الخطباء وشـعر الشعراء الا أن طابع ذالجمع كان يختلف كثيرا عن طابعهم فى اليوم السابق ذلك لأن الهرج والتشويش والنقد الوقح كانوا يكونون غمغمة من العسير تفهمها وان كانت كلمة(مستبد) ــ التى أخذت تلوكها الألسن ــ توضـــح بعض نبرات تلك الغمغمة التى جعلت الوجوم يطغى على نفر من أولئك النـــاس حتى كادا التفكير العميق يصرفهم عن الحفل وعن كل شيء عـــدى التعمق فى استنتاج ما يخبئـــه الغيب غير واحد منهم لـــم يكن منصرفا لمـــا انصرفوا اليه بل كان بصره عالقا بباب عربة من عربات القطار يراقبه بدقة صرفتـــه عن كل شيء حوله فلما انفتح الباب ومر منه رجل فى زى رســـــمى اتجه نحوه وحياه . ويظهـــر أن ذلك الرجل المرتدى للمـــــلابس الرسمية انما هو سائق القطـــار لأن رفيقنا السابق بادره بعـــــد التحية بقوله .. لقد وعدتنى ليلة البـــارحة أن تجيب على أسئلتى بخصوص أبعاد المحطات وعددها والاوقات التى تنصرم عند قطـــع ما بين كل محطتين فأجابه الرجل نعم . نعم . سأحدثك عن كل شيء هيا بنا بعيدا عن هــــــذه الغوغاء .

وفى الوقت الذى أخذ الناس ينصرفون فيه من المحطـــة كان رفيقنا يدون ما يمليه عليه سائق القطار .

فى ذلك المكان الهادىء ســـأل سائق القطار رفيقه عن اســــمه وغرضه من معرفة المعلومات التى الح عليه فى اليوم الســــــــابق مستفسرا عنها وقد اجابه رفيقه بكل صراحة ..

اسمى محمد بروبى وعمـــلى مهنـــدس فى عشـــــة المحتسب وأصلى تركى صميم وارغب فى هذه المعلومات لاضيف بعضها الى خارطة رسمتها فى العام المضى وقد وضعت لها جدولا يبين عدد دقائق السير بين محطة وأخرى كما يبين المسافة بالكيلو بين هذه وتلك وقد ظل الجدول خال من الدقائق ولهذا تجدنى حريصـــا فى أخذ المعلومات منك لاضـــافة ما يلزم منها للجدول المذكـــور بصفتك سائق القطـــار وبصفتك كنت تسير بقطارك مـــع العمل خطوة خطوة ولهذا فانت أفضـــل من يسأل فى هذا المجال .

عند ذلك أشرق وجه السائق وقال لمحدثه محمـــــد بروبى .. مادام الامر كـــذلك فلك ماشئت واسأل عما بدا لك واعتـــــدل محمد بروبى وأخرج ورقة كانت مطوية فى جيبه كما اخرج من جيب بنطلونه أميوبة من الصفر غـــير أنها مبططة قد تثبتت فى أحـــد طرفيها من الجانب دواة أما الطرف الثانى فهو غطاء بمفصلتين فعالج الغطاء وأخـــرج منـــه قلما من البوص فغمس طرفه المدبب فى المداد الذى بالدواة بينمـــا غمغم يقول :

لقد ذهب وفد من الحجاز فى عام ١٣٢٢ الى معان للاحتفـــال بوصول الخط الحديدى الى هناك وقد علمت حينذاك أن عــــــدد المحطات من دمشق الى معان تسع محطات فهل هذا صحيح

ج ــ نعـــم وهى دمشـــق . مزيريب . مفرق . الزرقة . بلقا . قطرانه . حسا . عنزه . معان

س ــ وهل المسافة بين دمشق ومعان ٤٤٧ كيلو متر

ج نعم بالضبط فهى من دمشق الى مزيريب ١٠٨ كيلو ثم ٥٣ ثم ٣٦ ثم ٦٠ ثم ٦٠ أيضا ثم ٤٨ ثم ٤٤ ثم ٣٦ .

ولما دون محمد بروبى هـــذه الارقام وجمعها وجدها ٤٤٥ كيلو فقط فلفت نظر السائق الى نقص هذين الكيلوين فأجابه السائق



الشيخ الطيب العقبى

بأن الارقام تبدأ من كل محطة الى المحطة التى تليها ثم تبدأثانية ودواليك ويثبت على كل لوحة الرقم المستمر من البداية وتحته الرقم المبتدىء من المحطة وعليه فان مجموع المسافة بين دمشق الى معان هى ٤٤٧ كيلو أما عندما تجمع المسافات التى بين المحطات فانها عند ذلك تنقص عدان الكيلوان لانها تضيع فى المحطات ·

ضحك محمد بروبى للنكتة وأثبت كل ماسمعه من السائق ثم أردف وما هو الوقت الذى يقطع فيه القطار تلك المسافات فأجابه السائق ٢٧ ساعة من دمشق الى مزيريب ثم ١٣ ثم ٩ ثم ١٥ ثم ١٥ ثم ١٢ ثم ١١ ثم ٩ وبعد أن أجرى المهندس عملية حسابية صغيرة قال للسائق اذن فالقطار يسير بسرعة ٤ كيلو فى الساعة ــ نعم ومن الممكن زيادة السرعة فى الحالات الضرورية وان كان ذلك غير مأمون ·

قال ·· محمد بروبى وما هو عدد المحطات من العقبة التى تلى معان الى المدينة فاجابه ٢٢ وهى العقبة · المدورة · ذات الحاج · تبوك · العاص · · مغيره · دار الحضرة · صانى · المعظم · دار الحصر · شق العجوز · مداين صالح · ابيار الغنم · زمرد · بير المجدد · بير الراية · هدية · اسطبل عنتر · أبيار نصيف · أبو جابر · بير عثمان · المدينة المنورة ·

فسأله محمد بروبى وماهى المسافة من معان للمدينة فأجابه السائق · ان المسافة من دمشق للمدينة ١٣٠٠ كيلو فاذاطرحت منها ٤٤٧ وهى التى بين معان ودمشق تظهر لك النتيجة وهى ٨٥٣ كيلو ·

فسأل المهندس قائلا وهل انت متأكد أن القطار يسير بسرعة ٤ كيلو فى الساعة فأجابه السائق ان المسافة بين بئر عثمان للمدينة هى ٤ كيلو وقد قطعناها فى ساعة كاملة بالضبط ·

وسأله المهندس وهل هذه المسافة كلها قطعتها قاطرتك هذه وما مللت من قيادتها ·

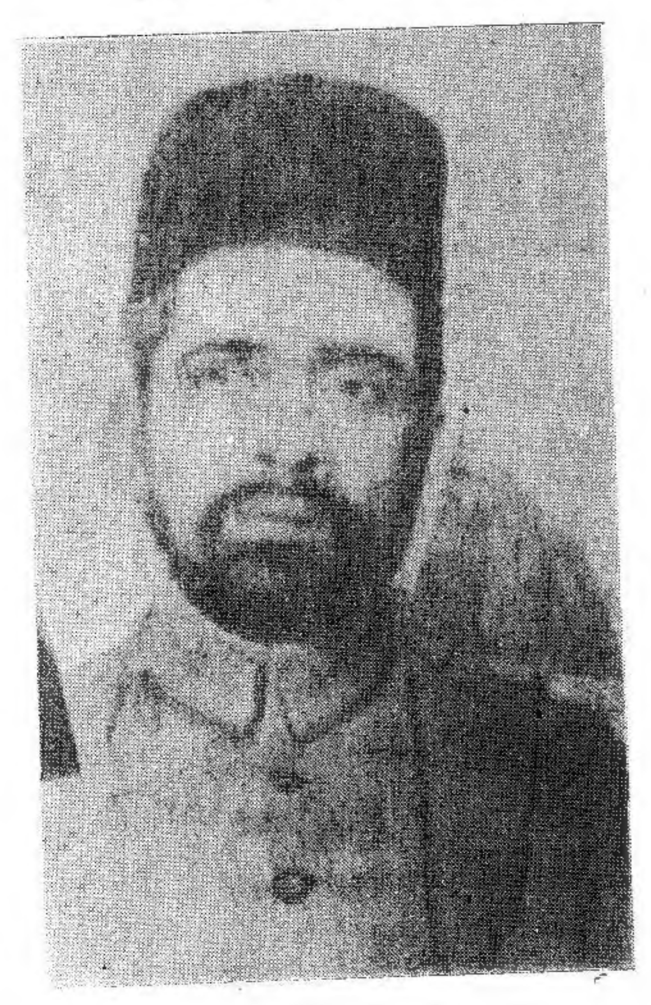
فتبسم السائق وقال ·· انك ياسيدى المهندس فى حاجة لبعض المعلومات ولن أبخل بها عليك اترك أسئلتك وسأشبع نهمك ·

أفهمك ان القطار الذى يتحرك من المدينة يتوقف فى مدائن صالح حيث تفصل المكنة من الفراقين وتتقدم مكنة أخرى بكامل موظفيها حيث يتم ربطها بالعربات لتسحبها من مدائن صالح الى تبوك ثم تفصل الفراقين وتربط فى مكنة أخرى لتقودها الى معان ثم يتم فصل آخر وتسحب الفراقين بمكنه اخرى من درعه الى دمشق وهى نهاية الخط الحجزى أما الذين يرغبون السفر الى ابعد من ذلك فان عليهم الانتقال الى عربات أخرى تسير على خط دولى أعرض من هذا الخط لأن عرضه ٤٣ ½ نتيم ويكون فى المنحنيات ٤٤ ثم أردف السائق اننى أراك تهم بطرح أسئلة أخرى ولهذا أطلب منك الصمت التام ذلك لاننى سأحدثك بكل مايجول بخاطرك · واليك ·· ان المحطات الاربعة التى يتم فيها تبديل المكنة يشغل كلا منها مفتش ومأمور استسيون ومأمور تلغراف وطبيب واربعة مقصجية وموظف للاضاءة ومهندسين مكنيكيين و(خراطان) وأربعة برادين وحداد وسباك و (طرمبجى) عامل للطرمبة ــ ومأمور للمستودع وكاتبان ومنورجى أى رئيس المقصجية ·

وأما المحطات الصغيرة الاخرى فتقتصر على مأمور للمحطة ومقصجى واذا كانت بها طرمبة يخصص لها موظف ·

كما أن لكل قطار موظفيه وهم سائق وموقد ومزيت ومأمور القطار وفى كل فرقون موظف مختص بالفرملة وافيدك تكاليف العمل بلغت ٣ ملايين جنيها ذهبا أحمرا عثمانيا أى ١٥٠الف أقة ذهب واقتين الا ثمن وقد تبرع المسلمون بثلثها وأؤكد لك أن العرب سيخبرونها ·

لأنهم قالوا ·· (ربنا باعد بين أسفارنا) ·



محجوب على سائق القطار رقم ١٠٥